

تفسير البحر المحيط

@ 184 فهو حال من فاعل { وَاهْجُرْ نِي } . قال ابن عطية : وتلخيص هذا أن يكون بمعنى قوله مستنداً بحالك غنياً عني { مَلِيّاً } بالاكتفاء . وقال السدي : معناه أبدأً . ومنه قول مهلهل : % (فتصدعت صم الجبال لموته % . وبكت عليه المرملة ملياً . %)

وقال ابن جبير : دهر ، وأصل الحرف المكث يقال : تمليت حيناً . وقال الزمخشري : أو { مَلِيّاً } بالذهاب عني والهجران قبل أن أثنك بالضرب حتى لا تقدر أن تبرخ فلان ملي بكذا إذا كان مطيقاً له مضطجعاً به انتهى . .

{ قَالَ سَلَامٌ عَلَايَكَ } . قرأ أبو البرهثيم : سلاماً بالنصب . قال الجمهور : هذا بمعنى المسالمة لا بمعنى التحية ، أي أمنة مني لك وهؤلاء لا يرون ابتداء الكافر بالسلام . وقال النقاش حلیم : خاطب سفيهاً كقوله { وَإِذْ أَخَاطَبْتَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً } . وقيل : هي تحية مفارق ، وجوز قائل هذا تحية الكافر وإن يبدأ بالسلام المشروع وهو مذهب سفيان بن عيينة مستدلاً بقوله تعالى { لََّا يَنْذَهُكُمْ اللّٰهُ عَنْ اللّٰذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ } الآية ويقول { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ } الآية . .

و { قَالَ } إبراهيم لأبيه { سَلَامٌ عَلَايَكَ } وما استدل به متأول ، ومذهبهم محجوج بما ثبت في صحيح مسلم : (لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام) ورفع { سَلَامٌ } على الابتداء ونصبه على المصدر ، أي سلمت سلاماً دعاء له بالسلامة على سبيل الاستمالة ، ثم وعده بالاستغفار وذلك يكون بشرط حصول ما يمكن معه الاستغفار وهو الإيمان بال [] وإفراده بالعبادة ، وهذا كما يرد الأمر والنهي على الكافر ولا يصح الامتثال إلا بشرط الإيمان . ومعنى { سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ } أدعو [] في هدايتك فيغفر لك بالإيمان ولا يتأول على إبراهيم عليه السلام أنه لم يعلم أن [] لا يغفر لكافر . قال ابن عطية : ويجوز أن يكون إبراهيم عليه السلام أول نبي أوحى إليه أن [] لا يغفر لكافر لأن هذه الطريقة إنما طريقها السمع ، وكانت هذه المقالة منه لأبيه قبل أن يوحى إليه ، وذلك أنه إنما تبين له في أبيه أنه عدو [] بأحد وجهين : إما بموته على الكفر كما روي ، وإما أن يوحى إليه الحتم عليه . .

وقال الزمخشري : ولقائل أن يقول الذي يمنع من الاستغفار للكافر إنما هو السمع ، فأما

القضية العقلية فلا تأباه ، فيجوز أن يكون الوعد بالاستغفار والوفاء به قبل ورود السمع بناء على قضية العقل ، والذي يدل على صحته قوله تعالى { إِيَّاكَ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لَإِيَّاهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ } فلو كان شارطاً للإيمان لم يكن مستنكراً ومستثنى عما وجبت فيه الأسرة . وقول من قال إنما استغفر له لأنه وعده أن يؤمن من مستدلاً بقوله { إِيَّاكَ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ } فجعل الواعد آزر والموعود إبراهيم عليه السلام ليس بجيد لاعتقابه في هذه الآية الوعد بالاستغفار بعد ذلك القول الجافي من قوله { لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ } الآية . فكيف يكون وعده بالإيمان ؟ ولأن الواعد هو إبراهيم ويدل عليه قراءة حماد الراوية وعدها إياه . .

والحفي المكرم المحتفل الكثير البر والألطف ، وتقدم شرحه لغة في قوله { كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنِّي } . وقال ابن عباس : رحيماً . وقال الكلبي : حليماً . وقال القتيبي : باراً . وقال السدي : حفيك من يهمله أمرك ، ولما كان في قوله { لَأَرْجُمَنَّكَ } فظاظة وقساوة قلب قابله بالدعاء له بالسلام والأمن ووعدته بالاستغفار قضاء لحق الأبوة ، وإن كان قد صدر منه إغلاظ . ولما أمره بهجره الزمان الطويل أخبره بأنه يتمثل أمره ويعتزله وقومه ومعبوداتهم ، فهاجر إلى الشام قيل أو إلى حران وكانوا بأرض كوثاء ، وفي هجرته هذه تزوج سارة ولقي الجبار الذي أخدم سارة هاجر ، والأظهر أن قوله